

مقاربات الاحتلال الفرنسي في التعاطي مع الثورة الجزائرية:

الحرب النفسية الفرنسية و المرأة الجزائرية أنموذجا

1962-1955

د/ جمال قندل / جامعة الشلف

الملخص :

تبحث الدراسة، إشكالية موقع المرأة الجزائرية من ثورة نوفمبر 1954، من حيث المشاركة في صناعة الفعل الثوري على اختلاف طبيعته، على نحو ساهم في دفع وتطوير الثورة في مجالات مختلفة و متنوعة من جهة، في الداخل كما في الخارج على حد سواء و الوقوف عند إحدى أهم الآليات الإستراتيجية التي جنح إليها الاحتلال الفرنسي ممثلة في آلية الحرب النفسية التي اعتمدت بالتوازي مع تطور الثورة، وبحث أسباب التركيز على المرأة كطرف رئيس شكّل مدار الحرب النفسية، لضرب الرغبة الثورية وشلّ الإرادة الواعية لدى المرأة .

Abstract :

The present study examines the problematic of the position of Algerian women in the revolution of November 1954 in terms of her participation in the manufacture of the revolutionary act of different nature, in a manner that contributed to the advancement and development of the revolution in various and varied fields inside and outside Algérie, The most important strategic mechanisms that the French occupation has succeeded in are represented in the psychological warfare mechanism adopted in parallel with the development of the revolution, and

the reasons for focusing on women as a main party in the form of psychological warfare.

In addition of this, the study examines the impact of the psychological war on Algerian women and revolution.

الكلمات المفتاحية

الثورة الجزائرية، المرأة، الريف، المدينة، الاحتلال الفرنسي، مجالات مساهمة المرأة، الحرب النفسية، أدوات الحرب النفسية.

Keywords

Algerian Revolution, Women, Rural, City, French Occupation, Women's Contribution, Psychological Warfare, means of psychological warfare

توطئة

أدرك القادة الفرنسيون، السياسيون والعسكريون على حد سواء، بصرف النظر عن مواقعهم ومستوياتهم، أن الاعتماد على الخيار العسكري كخيار أوحدهم للقضاء على الثورة الجزائرية، يُعد خياراً ضرورياً وأساسياً، بالنظر إلى النتائج التي يحققها في الميدان. بيد أنه يبقى غير كافٍ لوجوب دعمه وتعزيزه بخيارات أخرى، ومن ثمة بات من الضروري البحث عن بدائل أخرى مُدعمة ومُكملة في الوقت ذاته للخيار العسكري، خاصة وأن المسؤولين العسكريين أضحوا يرون في الميدان باستمرار، ويلمسون بصدق التطور النوعي المتدرج للثورة.

وفي هذا السياق، خُلق بنا التأكيد أن الجنرال بارلانج Parlange قائد القسم العسكري القسنطيني، اقترح و أُلح في الآن ذاته على القيادة العسكرية الفرنسية،

بعد أن أبصر شدّة وقوة، بل وخطورة هجمات جيش التحرير الوطني على راهن ومستقبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية في جزائر الثورة، وجوب اعتماد وتطبيق الطرق والأساليب ذاتها، التي تم اعتمادها في المغرب، وأثبتت فعاليتها في الميدان مع مرور الوقت، حيث تمثلت تلك الطرق بناء على رأي بارلانج في الفصائل الإدارية المتخصصة، و التي كانت ضربين. حيث أن النوع الأول، شمل الفصائل التي توزعت على مستوى القرى و المداشر، ما أضفى عليها الطابع الريفي، فيما تمثل النوع الثاني في تلك الفصائل الإدارية الحضرية والتي توزعت بدورها على مستوى المدن⁽¹⁾.

وقد أخذت تلك المراكز على عاتقها مهمة غاية في الصعوبة و الخطورة، في الآن ذاته على الثورة من جهة، وعلى الشعب الجزائري من جهة ثانية. ولكن قبل الاسترسال في الحديث عن الحرب النفسية كأداة من الأدوات الأخرى التي استعملت واستمر استعمالها إلى غاية الاستقلال من قصف، تدمير، تعذيب و تهجير، واغتصاب.... خليق بنا تحديد ماهية الحرب النفسية من خلال بحث المصطلح علميا، والوقوف عند حقيقتها وتداعياتها على مسار الثورة التحريرية.

أولا: تحديد ماهية الحرب النفسية :

1-التحديد المصطلحي للحرب النفسية :

من الأهمية بمكان، الإشارة إلى أن علم النفس الاجتماعي، يمثل القاعدة النظرية والتطبيقية للحرب النفسية. ولذا فإن الرجوع إليه لضبط مدلوله، على أساس سليم، يشكل استنادا علميا متينا، من شأنه أن يجعل الصورة عن الحرب النفسية، أكثر وضوحا.

2- مفهوم علم النفس الاجتماعي :

يعرف علماء النفس، علم النفس الاجتماعي، بأنه " ذلك الميدان من علم النفس الذي يتناول الكائنات الحية من حيث هي تؤثر في أقرانها، وتتأثر بها. وأن علم

النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الاجتماعي، كما يقع في الأحداث المختلفة⁽²⁾. كما يعرف أيضا بأنه "هو ذلك العلم الذي يدرس سلوك الفرد، كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية"⁽³⁾.

3- مفهوم الحرب النفسية في ضوء علم النفس :

للحرب النفسية أسماء كثيرة تعبر عنها، منها: الحرب العقائدية وحرب الأعصاب، الحرب السياسية، حرب الأفكار للحصول على إرادة الرجال و أفكارهم. وهناك من يطلق عليها اسم التسميم السياسي. وقد تنوعت تعريفاتها و تعددت، فهي تتسع و تضيق حسب الغاية المرجوة منها، وحسب المواقف و العلاقات الدولية⁽⁴⁾. ونسوق في هذا الصدد، بعضا من تلك التعريفات لتشكيل رؤية حول حقيقتها و أسسها و مرتكزاتها.

التعريف الأول: " الحرب النفسية هي استخدام أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية، وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين"⁽⁵⁾.

التعريف الثاني: ورد هذا التعريف في معجم المصطلحات الحربية للجيش الأمريكي: " إن الحرب النفسية هي استخدام مخطط من جانب الدولة، في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ، لإجراءات دعائية، بقصد التأثير على آراء، عواطف، مواقف و سلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة و أهدافها"⁽⁶⁾.

ولكن بالعودة إلى المصادر الفرنسية، وبخاصة العسكرية منها، على اعتبار أن الحرب النفسية عمل عسكري صرف، ولكن ذو طابع خاص، فإنه يمكننا الوقوف عند مفهوم واحد، في ظلّ تداخل الحرب النفسية مع أعمال و أنشطة أخرى، كالدعاية و التضليل الإعلامي والجوسسة والعمل المخابراتي، وكل ما من شأنه أن يهدم معنويات الخصم و يوقع به و يضعف شوكته و يشل إرادته. وقد برز ذلك، بشكل رئيس و جليّ

من خلال وجود المكتب الخامس " bureau 5^{ème}"⁷، كهيكل قائم بذاته يُعنى بالحرب النفسية، إلى جانب المكتب الثاني الذي اضطلع بالعمل الاستخباراتي.

و بالعودة إلى الأرشيف العسكري الفرنسي، نجد أن الخبراء العسكريين الفرنسيين، عرّفوا الحرب النفسية بالقول: "هي حشد واستعمال منظم و مخطط لوسائل و أساليب مختلفة، للتأثير في آراء و مواقف و سلوكيات الخصم، سواء كان هذا الخصم، سلطة، أو جيشاً أو شعباً، بما يُمكن من إضعاف مقاومته وفرض إرادة مخالفة لإرادته، تخدم الأهداف الوطنية"⁽⁸⁾. و هناك تعريف آخر، تضمنه دليل ضابط الحرب النفسية في الجزائر، وهو على جانب كبير من الأهمية، لا لشيء إلا لأنه اعتبر المرجع الأساس للضباط و غيرهم من العاملين في مجال الحرب النفسية. و قد عرفها بالقول: "هي التوظيف المخطط للدعاية، ولكل وسيلة أخرى، تصلح للتأثير في آراء و عواطف و مواقف وسلوكات الجماعات الإنسانية، سواء كانت صديقة أو محايدة أو معادية، خدمة للمصلحة الوطنية"⁽⁹⁾.

ثانيا : مشاركة المرأة في الفعل الثوري

إن الوعي بضرورة الجنوح باتجاه الخيار المسلح، كطريق أوحده نحو التحرير، و إعادة بعث استقلال الجزائر التي ما انفكت تتن من بطش الاستعمار وعذابا ته غير المنقطعة، لم يكن قطّ ميزة تفرد بها الرجال فحسب، بل إن المرأة الجزائرية المسلمة، لم تشذ عنها، وعلى هذا الأساس، ألفينا أنفسنا أمام وضع عكس الحضور الصادق والفاعل للمرأة، طوال فترة الثورة، على امتداد ولايات الوطن، و عبر مختلف المصالح والهياكل، التي أنشئت، بغرض دفع وتطوير الثورة.

وفي هذا السياق، ذكر العقيد على كافي أنه : "من الريف انطلقت الثورة في حجمها الأكبر، وبالتالي فإن المرأة الجزائرية واكبت وشاركت في الثورة منذ انطلاقتها

الأولى... امرأة الريف مثل رجل الريف، هي التي تحملت أكثر الاضطهاد و الإهانة أمام الاستعمار... «(10).

إن المرأة الجزائرية التحقت بالثورة، في الريف والمدينة على حد سواء ، بيد أن الثورة تختلف باختلاف خصوصيات كل من الريف و المدينة. غير أن الغالب في كفاح المرأة هو الريف. وهو ما جعل نسبة المرأة المجاهدة الريفية تصل إلى 78 في المائة⁽¹¹⁾. و قد ذهبت الباحثة الاجتماعية "ماري إيمي Marie Aimée" إلى تأكيد ما ذهب إليه العقيد كافي، بقولها " أن دور المرأة في الريف فاق بكثير دور المرأة في المدينة، ولهذا تكمن الصعوبة في تحديد عدد النساء اللواتي اشتركن في حرب التحرير الوطني في الأرياف، على عكس المدن.. «(12).

1: مجال نشاط وحركة المرأة في ظل الثورة :

1-1 المهّمات التقليدية :

كان التحاق المرأة بالثورة، على جانب كبير من الأهمية، من حيث توفير بعض الشروط الموضوعية لمجاهدي جيش التحرير الوطني، الذين كانوا في مواجهة دموية مستمرة مع قوات الاحتلال الفرنسي ، عبر امتداد مناطق الثورة. وقد اضطلعت بمهام تمثلت بالأساس في الطبخ للجنود، وغسل الثياب والتنظيف، ويبدو العمل في الظاهر، هيّنا أو غير ذي بال، ولكنه انطوى على أهمية كبيرة، كما شكل خطورة جسيمة في الآن ذاته، على اعتبار أن العمل يكيف على أنه من صميم المسبلين. وتذكر في هذا السياق، الباحثة جميلة عمران، التي أنجزت دراسة حول المرأة الجزائر و حرب التحرير، أن عدد المسبلات، أي المناضلات المدنيات ، كان كبيرا جدا، حيث يشكل الجزء الأكبر بالنسبة لموقع المرأة في الثورة. كما أن معدل سنهن يبلغ 32 سنة⁽¹³⁾، وهو متقدم جدا قياسا، بسن المجاهدات والفدائيات الذي لا يتجاوز ولكن على الرغم من ذلك، فإنهن لم يقعدن

عن مناصرة الثورة وتقديم المساعدة، اعتقاداً منهم أن ذلك من مقتضيات الإيمان وضرورات الوطنية.

ويورد في هذا الصدد ضابط جيش التحرير الوطني، بالولاية الثالثة، عبد الحفيظ أمقران، واقعة تعكس رباطة جأش المرأة ومساعدتها للثورة و استعدادها للتضحية. و قد ذهب يقول: " في أواخر سنة 1956 وقعت معركة بالمنطقة الأولى من الولاية الثالثة، التي كانت تحت قيادة سي حميمي، وقد سقط من جيش الاستعمار، عدد كبير وكان هناك سلاح غنمه المجاهدون، ولكن عسكريا فرنسيا سقط في مكان لم يره فيه أحد. ولما انسحب الجيش من أرض المعركة اكتشفت امرأة العسكري الفرنسي و بجواره مدفع رشاش أتت به إلى منزلها، وبعد المعركة أرسلت ولدها واتصل بسي حميمي وطلب منه الجيء لاستلام المدفع الرشاش، وهو أول مدفع رشاش غنم " (14).

وتذكر إحدى المسجلات التي كانت تقطن بإحدى ضواحي مدينة دلس، أن جبهة التحرير الوطني أمرت بإيجاد مخزن لتخزين المؤونة ، وبعدها ألقى عليه القبض من طرف قوات الاستعمار، استأنفت مهمته ، وحول تلك العملية، ذهبت إلى حد القول: " يقصدنا مسبلون حاملين وثيقة محررة من طرف مسؤول جيش التحرير الوطني يحدد فيها أنواع المؤونة، وغالبا ما تكون الزيت و الدقيق، يضاف إليها أحيانا السمك الذي نشتره من دلس " (15).

وفي الرابع والعشرين ديسمبر 1956 التحقت الطالبة رحمة بلبوري⁽¹⁶⁾، بصفوف الثورة، و سنها لا يتجاوز الخامسة عشر، بمعسكر. بعد أن تركت مقاعد الدراسة بالثانوية وبعد استفادتها من تكوين عسكري حول حرب العصابات، وفك وتركيب الأسلحة واستعمال القنابل اليدوية لفترة تدريبية قصيرة. ونظير ما أظهرته من استيعاب سريع، وما أبانت عنه من كفاءة، كلفت بالاضطلاع بمهمة كاتبة بالناحية الأولى من المنطقة السادسة للولاية الخامسة⁽¹⁷⁾.

وعلى غرار مهمة الأمانة التي أشرفت عليها، فقد كلفت بإنجاز المنشورات، والرسائل وتحرير محاضر الجلسات، إضافة إلى مهماتها التوعوية وسط النساء الجزائريات، وتوجيهن، فضلا عن السعي الدؤوب لمعرفة كل نأب ذي صلة بتحريك قوات الاستعمار، وكذا معرفة الخونة والمتعاونين مع إدارة الاحتلال الفرنسي.

وذكرت الطالبة المجاهدة، خيرة كسيرة⁽¹⁸⁾، التي التحقت بصفوف الثورة، بالمنطقة السادسة من الولاية الخامسة، في شهر مارس 1956، أنها بعد خضوعها لتدريب سياسي وعسكري قصير المدّة، اشتمل على كفاءات استعمال الأسلحة والقنابل اليدوية ونصب الكمائن وكيفية الاتصال بالعائلات وإقناعها بضرورة تقديم الدعم و المساعدة للثورة، وتلقي الأخبار منها. و قد

عملت بالمركز الصحي، بعد أن أجرت تكوينا في الشبه الطبي، على يد الدكتور خالد، ومنذ ذلك الحين وهي تمارس مهامها شبه الطبية في المراكز الصحية للثورة⁽¹⁹⁾.

2-1- مراقبات المناطق :

وفي تطور نوعي لافت، عكس عمق وعي الثورة بضرورة الحراك، باتجاه استغلال كافة الإمكانيات المتاحة وتوظيف الطاقات القادرة على إحداث التغيير الإيجابي في مسعى الثورة، خطا القائد عبد الحفيظ بوصوف، خطوات مشهودة في دفع المرأة باتجاه اختصاصات، لم تكن معروفة من قبل. وهو ما جعلها محطّ اهتمام مختلف مناطق الثورة، التي رأت في العملية، قفزة جديدة بالتطوير، لمواكبة التطورات المشهودة التي عرفتها الثورة. حيث تمثلت تلك النقلة، في أنه خلال سنة 1956، عمد بوصوف إلى استغلال سائحة الإضراب التاريخي للطلبة في التاسع عشر ماي 1956، ليلتقي وينتقي بعضا منهم، رأى فيهن مواصفات التميز وخلال القدرة على التفوق⁽²⁰⁾.

ولعل ما جعلهن يتميزن بتلك الموصفات، هو سبقهن النضالي، حيث أُنهن برزن من خلال نشاطهن وسط الحركة الطلابية في المغرب، ضمن الاتحاد الوطني للطلبة المغاربة ، في المرحلة الأولى، ثم ضمن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، في المرحلة الأخيرة، قبل التحاقهن بصفوف الثورة. وقد شاركن في عملية الانتخاب الخاصة بتشكيل فرع وحدة ل (إ،ع،ط،م،ج)، واستطعن الحصول على مقعدين مميزين، بيدوان من خلال الآتي :

الرئيس : عمر غربي.

نائب الرئيس: مليكة حجاج.

الأمين العام: عبد العزيز بوتفليقة.

المساعدون: طيب بن يخلف، عبد المجيد قوار، لطيفة رحال و رشيدة ميري⁽²¹⁾.

إن عملية انتقاء العناصر لإجراء التكوين، خضعت لشروط دقيقة وصارمة ومقابلة شخصية مع عبد الحفيظ بوصوف. وقد أسفرت العملية على انتقاء سبعة عشر عنصرا، منهم ثمانية فتيات وقد خضعت المجموعة لتكوين دام خمسة وأربعين يوما ، وعند نهاية التكوين، أجري امتحان كتابي و آخر شفوي، إلى جانب تمارين عسكرية متقدمة جدا ، كانت تدوم أحيانا إلى ساعات متأخرة من الليل. ودخل الفوج الولاية الخامسة، بعد أن عبر الخط المكهرب، بمعية نازع للألغام، تولى تأمين الطريق، بعد تحييد ونزع الألغام التي قد تعرقل سير و دخول الفوج، بل قد تعرض حياتهم للخطر.

وفي هذا الصدد، تجب الإشارة، أن المهمة المنوطة بهؤلاء، سياسية أكثر منها عسكرية، ذلك أنها ترمي إلى الانتقال إلى المناطق ومعاينتها على نحو شامل ودقيق، يغطي كافة الجوانب، منها التنظيم العام، المجال العسكري والمجال السياسي، إلى جانب بعض المهمات الخاصة، التي تخضع لمعطيات خاصة بكل منطقة على حده، كنشاط الحركة الوطنية الجزائرية، تحرك بعض الحركات والمخبرات. وتجمع تلك المعلومات و

المعطيات، ذات الصلة بالمجالات و الجوانب المحددة في تقرير عام يُطبع بالسرية حول
الوضعية التي شكلت أساس مهمة المراقب.
وللتذكير فإن التقرير ركز بشكل أساس، على المجال السياسي، حيث كُلف مراقبو
المناطق بضرورة إيلاء الأهمية الكبيرة للمسائل التالية :

- أ- تعداد مناضلي جبهة التحرير الوطني.
- ب- الحالة النفسية للمناضلين.
- ت- مستوى الروح القتالية.
- ث- علاقات الشعب بجبهة التحرير الوطني.
- ج- الحالة الصحية على المستوى الشعبي.
- ح- الوقوف على دعاية العدو وسط الشعب.
- خ- الاستعلام حول تسيير المجالس الشعبية وحضورها على مستوى الشعب⁽²²⁾.

وذكرت مليكة حجاج، التي اضطلعت بمهمة مراقبة منطقة في شهادة لها: "عندما
نكون في الوسط النسوي، في أي دوار، نتخلى عن لباسنا العسكري، ونلبس لباس
النساء المحلي، حتى لا نثير انتباه أي أحد، قد يوشى بنا، أوفي حالة حدوث أي تمشيط
مفاجئ لقوات الاستعمار، ذلك أن القمع يكون شديدا، إذا علمت سلطات الاحتلال،
أن دوارا ما يقدم الدعم والإيواء للثوار..."⁽²³⁾.

كما ذكر المجاهد دحو ولد قابلية، في سياق الحديث عن تطوع قادة المنطقة
الخامسة، إلى السعي نحو النهوض بالثورة إلى مستويات عالية، من خلال اعتماد أسلوب
التكوين: "إن الانشغالات الرئيسة لقائد المنطقة الخامسة، محمد العربي بن مهدي، ونائبه
عبد الحفيظ بوصوف، تمحورت حول ضرورة تسليح مجاهدي المنطقة، إلى جانب غياب
الربط والاتصال، ولكن بمجرد تحقيق عنصر التسليح، انتقل القائد إلى المرحلة الثانية،

القائمة على اعتماد سياسة التكوين، بالاعتماد على الإمكانيات البشرية الهامة التي أنتجها إضراب الطلبة والثانويين في شهر ماي 1956⁽²⁴⁾.

لقد توخت جبهة التحرير الوطني، باعتبارها التنظيم السياسي الجديد الذي ظهر على الساحة، في الجزائر، وهو الذي سيكون له شرف قيادة الجزائريين باتجاه تجميع الجزائريين شعبا وتنظيمات، حول كلمة سواء، هي الثورة على الاحتلال الفرنسي، ابتداء و انتهاء، إدراكا منها لنبل وشرف المهمة من وجهة، وصعوبتها، بل واستحالة الاضطلاع بها لوحدها، من وجهة أخرى. لذلك كثف قادة ومسئولو الثورة الاتصالات مع كافة القوى السياسية والجمعيات ورغبة في انضمامها للثورة، وهو عمل ذو بعدين رئيسين، حيث يتمثل الأول في تعميق القطيعة مع إدارة الاحتلال، على نحو نهائي، فيما يتمثل الثاني في تعزيز جانب الثورة على مستويات مختلفة، وهو ما يساعد على تحسين توقعها في الداخل والخارج على حد سواء.

ثالثا: الحرب النفسية الفرنسية والمرأة الجزائرية: استقطاب و توظيف :

أولت سلطات الاحتلال الفرنسي عموما، و القائمون على إدارة شؤون الحرب النفسية بشكل خاص، الفرق الطبية المتنقلة أهمية كبيرة، إدراكا منها للدور الحيوي الذي تضطلع به، قياسا بالمجموعات الأخرى التي تتحرك في المجال ذاته. و لعلّ السرّ الكامن وراء الاهتمام الكبير الذي حظيت به الفرق الطبية، يعود إلى الوسط الذي شكل مدار حركتها ونشاطها، وهو مجال حيوي و استراتيجي، في منظور الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية، ليس لكونه مرتبطا براهن الاحتلال في الجزائر فحسب، على الرغم من أهمية ذلك، في تطويق و خنق الثورة، بل لارتباطه الوثيق بالمستقبل، وذلك هو الأهم، على اعتبار أن النجاح في تحقيق الأهداف الآجلة، من شأنه أن يُبقي على المصالح الفرنسية على اختلاف طبيعتها، مصونة أمدا بعيدا.

ونستشف حقيقة ما ذهبنا إليه، من خلال الدراسة التي أعدتها مصلحة "الصعوبات الإنسانية" التابعة للمكتب الثالث، بقيادة أركان القوات المسلحة. و التي قدمت لتكون أرضية ينطلق منها القائمون على العمل النفسي بالمكتب الخامس (25).

و قد جاءت الدراسة تحت عنوان "العمل في الأوساط النسوية بالجزائر" ((Action sur les milieux féminins en Algérie، وتوزعت على ثلاثة فصول. حيث انضوى الفصل الأول تحت باب العموميات، الخاصة بالوسط النسوي في الجزائر، و تركز الحديث على الأهمية التي تشكلها المرأة في المجتمع الجزائري، باعتبار أنها تمثل نصف المجتمع، و هو ما يوجب استفراغ جهود معتبرة، سواء تعلق الحديث عن الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة، التابعة مباشرة للجيش، أو تلك الأعمال التي تنجز في ضوء مبادرات عمومية أو خاصة، مثل ملحقات الشؤون الجزائرية (Attachées des affaires Algériennes) و مديرات مصلحة تكوين الشباب في الجزائر) Monitrices du service de formation des (jeunes en Algérie)، أو حركة التضامن النسائي (Mouvement de solidarité féminine).

ثم عرّجت الدراسة على مسألة هامة متعلقة بالاستعمال الجيد للوسائل و الإمكانيات التي ترصد لإنجاز المهمّات، سواء تعلق الأمر بالجانب الكمي أو النوعي لتلك الوسائل. و قد حازت الفرق الطبية الاجتماعية المتنقلة، الحيز الأكبر من الدراسة، بالنظر إلى أهميتها و الدور المنوط بها. وتجلّى ذلك بشكل واضح، عندما اعتبرت أداة من أدوات "التهديئة"، التي استعملت في القضاء على الثورة، بدءا بالمقاربة الأمنية التي ارتكزت على الخيار العسكري القمعي، للحد من توسع وامتداد الثورة على طريق استئصال شأفة العمل العسكري الثوري. ومن ثمة فإن مهمتها لا تنأى بعيدا أو تختلف

كثيرا عن المهمة الملقاة على عاتق مسؤولي الدفاع الذاتي، نوادي الشباب، و جمعيات قدماء المحاربين، وكذا الحركى و القومية.²⁶ وعلى هذا فإن مهمة تلك الفرق تتباين مع سابقاتها من حيث الشكل و تتقاطع معها من حيث الهدف و الموضوع، نتيجة للخصوصية التي تميزها. و قد أوضحت الدراسة أن مهمة الفرق تتحدد من خلال الآتي (27):

1-وجوب الاتصال بالوسط النسوي في الجزائر، لتحقيق الهداف الآتية :

أ- معرفته.

ب- إعلامه.

ت- تربيته.

ث- تنظيمه.

ج- قيادته.

2-إن الوصول إلى تحقيق تلك الاهداف الجزئية من عملية الاتصال بالوسط النسوي، تمكننا من تهيئته لهدفين رئيسين هما :

أ- تمكينه في المرحلة الأولى من التكيف مع المعطيات الجديدة، بعد نقله إلى وسط جديد لم يعهده من قبل.

ب- تمكينه من أن يعيش على نحو واقعي، الحل للمشاكل الجزائري، في ضوء الصبغة الفرنسية. و لذا فإنه بات لزاما على أعضاء الفرق الطبية الاجتماعية، أن تُظهر للوسط النسائي الجزائري المستقبل العصري للحياة في الجزائر، الذي تقترحه فرنسا، بشكل محسوس و ملموس، بعيدا عن التخمينات و الطرح النظري، خاصة وأن البؤس و الحرمان باتا يلازمان حياة الجزائريين. وعلى هذا فإن المساعدة الاجتماعية و الطبية التي تقدم

للسلط النسائي كفيلا بجذب الجزائريات و تحسين صورة سلطات الاحتلال الفرنسي لديهن.

أما الفصل الثاني، فقد جاء تحت عنوان "الوسط". و ذكر في الديباجة أن المهمة الملقاة على عاتق سلطات الاحتلال، تتمثل أساسا في القيام بعمل كفيلا بتحويل الجزائريين من خلال تمكين السكان وبشكل خاص العنصر النسوي من الانتقال إلى مستوى آخر، من العيش قائم على نمط حضاري عصري، بصورة متدرجة، دونما صدمة. و إننا إذ نصلو إلى بلوغ ذلك، فإننا نأخذ بيد المرأة الجزائرية من خلال الارتكاز على العناصر الآتية :

- أ- نسعى إلى تمكينها من الاعتماد على نفسها، من خلال منحها الثقة بنفسها.
 - ب- نضع بين يديها الأداة التي تمكنها من الاختيار الحرّ لمستقبلها، أي بمعنى أننا نعرض عليها صورتين متباينتين، الأولى تخص مستقبلها في ظل العيش داخل الإطار الفرنسي، أما الثانية فتخص مستقبلها في ظل العيش داخل الجزائر و بعيدا عن فرنسا.
 - ت- ندافع عن المرأة ضد الأخطار التمييزية التي تهدد جميع الدول المتخلفة.
- و انطلاقا من هذا، فإن المهمة التمديدية التي نسعى لتمكين المرأة الجزائرية منها، تشكل في الأصل رهان الكفاح و أدواته، لا لشيء إلا لأن انخراطها و مشاركتها لنا عملنا، يعتبر ضروريا⁽²⁸⁾.

و جاء الفصل الثالث و الأخير من الدراسة، تحت عنوان "الوسائل" و هي على جانب كبير من الأهمية، إذ يتعدى إذا لم يكن مستحيلا إنجاز تلك المهمة الصعبة، بمعزل عن الوسائل والإمكانات⁽²⁹⁾.

و المتبع لمسار الحرب النفسية للاحتلال الفرنسي في الجزائر، يدرك صعوبتها وخطورتها العاجلة و الآجلة على ثورة الدولة و دولة الثورة في الآن ذاته. و لعلّ ما يؤشر على ذلك، هو أن أدوات الحرب النفسية التي استعملت خلال الثورة التحريرية، كانت

متنوعة و عديدة كما تختلف باختلاف درجة التأثير من حيث المحدودية أو الامتداد. وضمن هذا السياق، خليك بنا الإشارة إلى التقرير الذي أعده العقيد برافلي "Bravelet" قائد الفيلق 151 للمشاة الميكانيكي، بإقليم قلمة و الذي أرسله إلى الجنرال قائد الفرقة الثانية للمشاة الميكانيكية⁽³⁰⁾، وتمحور التقرير حول موضوع المرأة الجزائرية، من حيث السعي إلى استقطابها وتأهيلها تأهيلا شاملا، كفيلا بتوظيفها في مشروع الثورة المضادة، من خلال إيجاد نخبة نسائية متغربة على المدين المتوسط والبعيد، تعلن الولاء للثقافة و الحضارة الغربية فكرة وممارسة، و تعادي كل عمل أصيل يرنو التمسك بالثوابت و الحفاظ على القيم.

حيث تحدث التقرير عن اجتماع نظمته سلطات الاحتلال الفرنسي، توحي بجميع النساء لا غير، بمنطقة هيليوبوليس، وأقيم بساحة المدرسة خلال شهر أوت 1957، على الساعة الثالثة بعد الزوال. وقد كان فريق العمل النفسي مزودا بالأدوات و الأجهزة اللازمة، من مكبري صوت، ميكروفون، وجهاز راديو. أما برنامج الاجتماع فقد كان كالآتي:

أ- موسيقى مسجلة.

ب- نشرة ناطقة، ضمت أخبارا عامة و أخرى محلية خاصة بالمنطقة.

ت- موسيقى.

ث- تعليق حول الأخبار الهامة.

ج- موسيقى مسجلة.

بالنسبة للتعليقات على الأخبار الهامة فإنها كانت تتعلق بالشأن الأمني الصرف، من حيث الوقوف عند الحصيلة العامة ذات الصلة بالحالة الأمنية، امتدادا و انحسارا، والتي كانت تصل من عنابة، وكانت تعرض ضمن حصة "أعلمونا". بيد أن البث و التعليق كان مدروسا دراسة قائمة على هدف رئيس توحي إضعاف إرادة السامعين من

الحضور، من خلال التركيز على الأسرى الجزائريين خلال المعارك ومختلف العمليات العسكرية، فضلا عن عرض عمليات استسلام بعض عناصر جيش التحرير الوطني، في صورة تُظهر قوة عساكر الاستعمار، و مدى تحكمهم في الميدان، بل وسيطرتهم على الواقع من جميع الجوانب. و في المقابل، يقدم المجاهدون في صورة الفاشلين العاجزين عن تحقيق أي تقدم، ومن ثم التركيز على دنو أجل "الخارجين على القانون".

و لعلّ ما يلفت الانتباه في التقرير، هو تركيز العقيد برافلي كثيرا على سلوك الجزائريات اللاتي حضرن الاجتماع، و الذي كان حلقة ضمن سلسلة لاجتماعات كثيرة، عكست حرص سلطات الاحتلال الفرنسي، على التفاني في العمل من أجل إنجاح مهمة استقطاب المرأة الجزائرية و التأثير عليها على نحو متدرج، لاستغلالها في هدم بني الثورة. و يمكن ضبط و تحديد الملاحظات التي استخلصتها من قراءتي لتقرير العقيد برافلي في الآتي: (31)

- 1- إن الفكرة المستخلصة و التي انطلقنا منها أن للمرأة المسلمة تأثيرا كبيرا في البيت، وهو ما يوجب التعامل معها من خلال عمل مباشر خلال الاجتماعات المقررة.
- 2- لم يكن بإمكان المرأة قبل سنتين من حضور أي اجتماع (1954-1956).
- 3- الاجتماع الأول حضرته النساء على نحو ملزم، ولكن فيما بعد أصبح حضورهن بناء على رغباتهن.
- 4- بعد الفراغ من الاجتماع كانت النساء تقبل لتطرح أسئلة، وكن يعرضن الصعوبات التي تعترضهن على الضباط الحاضرين.
- 5- جُربت السينما كأداة استقطاب و تأثير، ولوحظ انجذاب المرأة المسلمة إليها.
- 6- في المرة الأولى أجبرت النساء على الحضور إلى قاعة السينما، و لكن في المرة الثانية، حضرن الاجتماع رغبة و كان عددهن 26. و الواضح أن المانع الذي يحول دون حضورهن، هو الخوف من الزوج.

7- بخصوص الذوق السينمائي، فإنهن يجذبن أفلام الحب، و ينفرن من الأخبار الخاصة بالكفاح، مهما كان شكلها، لأنها تخيفهن.

8- بتاريخ 14 أكتوبر 1957، حضرت 120 امرأة مسلمة تجمعا على الرغم من أن الجو كان مطرا، فضلا عن موجة الزكام التي أصابت المنطقة.

و قد ختم العقيد تقريره بالإشارة إلى أهمية تلك التجمعات، خاصة و أن ما شدّهم أكثر هو الثقة التي يبدو أن المرأة الجزائرية بدأت تضعها في السلطات. كما ذكر في نهاية التقرير أن 25 في المائة من النساء الحاضرات في التجمعات كن يخلعن الحايك، دون أن يطلب منهن أحد ذلك⁽³²⁾.

ثالثا : آليات التركيز على المرأة ضمن إستراتيجية الحرب النفسية

1- الفرق الطبية الاجتماعية القريبة (les équipes médico-sociales itinérantes)

تم إنشاء هذه الفرق ،سنة ألف وتسعمائة وسبعة وخمسين ،حيث ضمت طبيبا مساعدة مسيحية،ومساعدتين مسلمتين،يعيشون وسط جنود الاحتلال .وقد ضبطت مهمة هذه الفرق، ضبطا دقيقا ،في إطار الحرب النفسية الشاملة ،ضد الثورة،حيث تمثلت في التركيز على النساء المسلمات الجزائريات ،من خلال ضبط اتجاه الرأي العام النسوي الجزائري ،وإخاطر إدارة الاحتلال³³ الفرنسي لاتخاذ ما يكون مناسبا من قرارات ،قادرة على صياغة عقلية المرأة الجزائرية ،صياغة جديدة ،تأخذ بعين الاعتبار ،معطى الاحتلال ،وما يستلزمه من مرونة فكرية،تعتمد تجزيء و تفتيت فكرة الاحتلال ،مع عرضها وفق منهج قائم على التفعيل،وصولا إلى التحبيب و الترغيب،وأخرى عملية لإحداث التأثير المرجو.

والخليق بالإشارة هنا، أن مسألة الاهتمام بالمرأة الجزائرية لم تكن قطّ وليدة هذه المجموعات، وإنما تعود إلى سنوات خلت، بعد أن أدركوا موقع المرأة الجزائرية المسلمة من عملية التحرير، ودورها الرئيس في حركة التغيير .

2- المساعدة الطبية المجانية (*Assistance médicale gratuite*) :

أنشئت هذه الفرق، في شهر جويلية سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين، وأنيطت بها مهمة تقديم و توفير المساعدات الطبية اللازمة و الضرورية للشعب، سواء تعلق الأمر بالعلاج أو المتابعة الطبية، فضلا عن تقديم الدواء لكل حالة مرضية، على حدة . وقد تحمل هذه المسؤولية، أطباء عسكريون، منهم حوالي خمسين طبيا من الليف الأجنبي، حيث عمل الكل تحت مسؤولية رئيس -الصاص-، وقد بلغت الإستشارات المجانية التي قدمت في هذا الشأن، تسعة عشر ألف (19000) سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسين، فيما بلغت سنة ألف وتسعمائة و تسعة وخمسين (1300.000)، مليون وثلاثمائة ألف استشارة.³⁴

وقد بدت أهميتها وتجلت قيمتها في إمكانية إحداث التأثير المرغوب، وبخاصة في الوسط النسوي الجزائري، بفعل الاحتكاك الدائم و المباشر به، فضلا عن محاولات إظهار الاعتناء الكبير والاهتمام الكافي بالحاجيات والضروريات، ذات الارتباط الوثيق بالمرأة .

3- الملحقات النسوية للشؤون الجزائرية (*Attachées*

(*féminines des affaires Algériennes*

ثمة قواسم مشتركة بين الملحقات النسوية وفرق المساعدة الطبية، ذلك أن مهمة الملحقات تركزت بشكل أساس على التأطير و التربية وتقديم الإسعافات الأولية لذوي الحاجة، في الزمان و المكان المناسبين. ويندرج عمل الملحقات في [سياق العمل

المدني، وهو ما أكده القرار الصادر بتاريخ الثالث من شهر ديسمبر سنة ألف و تسعمائة و سبعة وخمسين، والذي قضى بتعزيز و تعميق العمل المدني باعتباره أساسا و ذا قدرة على التأثير و الاستيعاب، حيث توخى القرار تحقيق تلك الأهداف، من خلال الملحقات النسوية التي أخضعت لمسؤولية ضابط الفصائل الإدارية المتخصصة³⁵.

الهوامش:

(¹)- Jean Garniage, Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours, éditions Fayard, France, 1994, p890.

(²)- ج. جيلفورد، ميادين علم النفس، ترجمة يوسف مراد، مجلد 1، دار المعارف القاهرة، 1962، ص 299.

(- فهمي النجار، الحرب النفسية أضواء إسلامية، (د، ط) دار الفضيلة للنشر، الرياض،

³ .السعودية، (د، ت، ن)، ص 10

⁴ -نفسه، ص 69.

⁵ -نفسه.

⁶ -فهمي النجار، مرجع سابق، ص 70.

7

(⁸)- محمد بن داره، " الحرب النفسية الفرنسية ورد فعل الثورة الجزائرية (1955-1960) دراسة في

أنشطة الحرب النفسية للمكتب الخامس للجيش الفرنسي بالمنطقة العسكرية الفرنسية العاشرة"، ج 1،

أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،

2008/2007، ص 3.

⁹ -نفسه.

(¹⁰)- علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946 -

1962، الجزائر، دار القصة للنشر، 1999، ص 157.

(¹¹) بشير مديني ، " المرأة الجزائرية بين التكالب الاستعماري و الجهاد المقدس " ، الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة ، طبعة ثانية ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، 2007 ، ص 307.

(¹²)-عبد العزيز بوكنة ، " قراءة في بعض الكتابات الغربية (باللغة الانجليزية) عن دور المرأة الجزائرية ماضيا وحاضرا " الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة ، طبعة ثانية ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، 2007 ، ص 133.

(¹³)-Djamila Amrane ,**Femmes au combat** ,édition
Rahma,Alger,1993, p115

(¹⁴)-عبد الحفيظ أمقران، " دور المرأة الجزائرية في الثورة " ، في حوار حول الثورة، ج1، منشورات المركز الوطني للتوثيق و الصحافة و الإعلام، الجزائر، 1986، ص 430.

(¹⁵)-Djamila Amrane,op. cit,p 115.

وزارة المجاهدين، دور المرأة في الثورة التحريرية، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص 21.

(¹⁶)-ولدت رحمة بلبوري، في العاشر جانفي 1941، بمدينة معسكر. نشأت وسط عائلة ثرية، متمسكة بأصولها العربية و الإسلامية ، فقد كان أبوها وجدها من حفظة القرآن الكريم ، كما كانا يتقنان اللغة الفرنسية إلى جانب العربية. زاولت دراستها الابتدائية بمسقط رأسها ، وبعد اجتيازها المرحلة بتفوق ، انتقلت إلى التعليم المتوسط فالثانوي، بالمدينة ذاتها. نما وعيها ، ونضج فكرها، نتيجة لأفكار التي كان يطرحها الأستاذ مامون مكوي ، الذي كان ينشر الوعي الثوري ، وسط الطالبات ، وينتقي منهن ما يرى أنهن قادرات على تحمل المسؤولية ، والاستعداد التام للذهاب بعيدا في تقديم الدعم و المساعدة للثورة. وقد شكل هذا الجو ، حافظا كبيرا لرحمة كي تقرأ الواقع الجزائري، في ظل الاحتلال الفرنسي، والذي جسده الفقر المدقع للشعب الجزائري، الذب أصبح غريبا في أرضه، وفي المقابل عاش الأوروبيون ، وكانهم أصحاب الملك ، هذه التناقضات الصارخة ، جعلتها تُكثر السؤال وتصير أشد كرها للفرنسيين المحتلين، وتتوق باستمرار لحمل السلاح ، رغم صغر سنها. فكان يوم

24 ديسمبر 1956، منعظا حاسما في مسار حياتها ، فبعد جلسة حوارية مع أبيها ، طرحت عليها خلالها، جملة من الأسئلة تعلقته في مجموعها حول إمكانية مشاركة المرأة في الثورة ، فكان رد أبيها، أن المرأة قادرة على حمل السلاح و القتال ، والتاريخ مليء بصور نساء كثيرات، قاتلن وقتلن. لقد كان الحوار، حافزا كبيرا لها ، ودافعا في الآن ذاته، كيما تلتحق بالثورة، خاصة و أن أباهما أكد لها من حيث لا يعلم المغزي من أسئلتها الكثيرة ، أحقية وشرعية قتالها. فالتحقت بصفوف جيش التحرير بمعسكر، دون أن تخطر أحدا من أسرته. وقد سقطت شهيدة، يوم 25 ماي 1957، بعد أن حاصرت قوات الاستعمار، المكان الذي كانت بداخله ، بمعية مجاهدين ، وشرعت في إطلاق النار عليهم. للاستزادة، أنظر:

-عبد القادر ماجن "الشهيدة بلبوري رحمة"، أول نوفمبر، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد 81، الشهر الأول 1987، ص50-51.

(17) - نفسه.

(18) -ولدت المجاهدة كسيرة خيرة، في 22 جانفي 1948 بمدينة معسكر، زاولت تعليمها الابتدائي بمسقط رأسها ، كما كانت تختلف إلى مدرسة تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين، حيث تعلمت مبادئ اللغة العربية ، وحفظ بعض من سور القرآن الكريم ، كما كانت تحضر بعض الأنشطة الدينية و الوطنية التي كانت تقام بتلك المدرسة. وقد لعبت الفروق الاجتماعية بين الجزائريين و المعمرين ، دورا كبيرا في بلورة وعيها، بإدراك حجم الظلم المسلط على الجزائريين ، وما يستتبعه ذلك من كفاح مسلح لاسترداد الحقوق. وفي جانفي 1956 كانت لها اتصالات مع بعض المسؤولين السياسيين الذين حدثوها عن حاجة الثورة إلى جميع أبنائها ، بما فيهم النساء لدعم صفوفها ، وقعت أسيرة في شهر ديسمبر 1958، وتعرضت لتعذيب كبير، ونقلت إلى السجن ومكثت به مدة تسعة أشهر ، ثم أطلق سراحها بتعهد من أبيها على ألا تعود إلى أي نشاط نضالي. وعادت للنشاط الفدائي من جديد، بعد أن ربطت الثورة الاتصال معها ، من أجل بعث العمل الفدائي بمعسكر. أنظر: مجلة "أول نوفمبر" العدد 81، لشهر جانفي 1987، ص54-61 .

(19) - التحرير " لقاء مع المجاهدة كسيرة خيرة " ، أول نوفمبر ، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين ، العدد 81، الشهر الأول 1987، ص54-57.

(²⁰) - المناضلات اللواتي شكلن مدار الحديث ، هن: مليكة حجاج ، ولدت سنة 1939، بالمغرب. يمينة شلاي ، ولدت سنة 1939 بالمغرب، خديجة شلاي، ولدت سنة 1937 بوجدة في المغرب، واستشهدت سنة 1957. رشيدة ميري ، ولدت سنة 1937، بوجدة في المغرب ، عوالي عويسي ، ولدت سنة 1940 بتلمسان، وسقطت شهيدة سنة 1957، فريدة قديري ، ولدت في وجدة بالمغرب ، ولطيفة رحال، ولدت هي الأخرى بوجدة في المغرب. أنظر:

-Messaouda Yahiaoui et autres, **Le rôle de la femme Algérienne dans la révolution 1954-1962**, série de projets nationaux de recherches, édition spéciale ministère des moudjahidines ,2007,p183.

(²¹)-Ibid.

(²²)-Messaouda Yahiaoui et autres ,op. cit,p 195.

(²³)-Ibid.

(²⁴)-Dahou Ould Kablia « La construction du MALG à la lutte de libération nationale»,in El Massadir,n°2,2002,centre nationale de la recherche et des études Historiques 1^{er} novembre 1954,p63.

(25)-1H2461,dossier n°1, **Action sur les milieux féminins en Algérie**, E. M ,3^{ème} bureau section « problèmes humains ».

(²⁶) يُعرف مصطلح الحركة تعريفًا متباينًا انطلاقًا من أدبيات و موثيق الثورة الجزائرية و المصادر

الفرنسية، تباينًا يعكس تباين المنطلقات و الرؤى، فضلًا عن الخلفية الثقافية و الحضارية لكل من

الجزائر وفرنسا، على حد سواء .

(27)-1H2461,dossier n°1, **Action sur les milieux féminins en Algérie**, op.cit,p1.

(28)-Ibid,p 5.

(29)-Ibid,p9.

(30)-1H2461 ,dossier n°1,**reunion des femmes à Héliopolis du 26. Octobre 1957**,10 R. M,E. M,secteur de Guelma

(31)-1H2461 ,dossier n°1,**reunion des femmes...**,op.cit,p2.

(32)-Ibid ,p 3.

(³³)-SHAT 1H2461 ,dossier n°01 « centres sociaux E.M.S.I » .

(³⁴)- SHAT ,introduction...op cit.p 219.

(³⁵)- Ibid.